الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الرافدين

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

قصة الإسلام ...

في عيد الغدير

بقلم

الدكتور أسعد علي

- ١ -

باسمكَ اللهمَّ ، رفيعَ الدرجاتِ ، يا ذا العرش ؛ أَدعوكَ مُخلِصاً لك الدينَ . . فاستجِبْ لي ؛

ثبِّتْ قلبي بروحٍ من أمركَ ، ليقبلَ اخضرارَ التاريخِ في هذي العيشة . .

وارفعني درجةً فوق نفسي ؛ لأنفلت من قيود شرورها ، وأتخلَّصَ من أثقالِ ذنوبها ، وأغتسلَ بمطرِ الفطرةِ الأولى ، التي فطرتني عليها ؛ فأبعثَ حيّاً .

بحمدكَ اللهمَّ ؛ انتفضتُ من قبري ، وشممتُ أطيابَ الحقيقة ، ورأيتُ خلقَكَ المتقَنَ من نوافِذ السماواتِ والأرض ، ورأيتُ مخلوقاتِكَ المجنّحة تسعى من أمركَ في كل اتجاه ؛ تبعتُ مجنّحاً منها ، على ريش روحي ؛ فصفَّ في سماء الجزيرة ، ثمَّ غابَ في أنقى سريرة ؛

فعرَتْنيَ رعدةٌ وذهولٌ ، ووقفتُ على أعتابِ محمد (ﷺ) صامتاً ؛ ومكثتُ خاشعاً ، حتى حركتني اليدُ المباركةُ ، يدُ العملِ الصالحِ وهي ترفع الكلِمَ الطيِّبَ ، صوبَ الله ، لتعلِّم الناس كيف يرتفعون فوق نفوسِهم درجات . .

وسمعتُ صوتَ محمّدٍ ، يتلو بيانَ اللقاء ، مع المجنّح الذي أضاء :

«وإنَّه لتنزيلُ ربِّ العالمين .

«نزلَ به الروحُ الأمين .

«على قلبكَ لتكونَ من المنذِرين .

بلسانٍ عربيٍّ مُبين .

«وإنّه لفي زُبُرِ الأولين . .

«وما أرسلناكَ إلّا رحمةً للعالمين .

«قل : إنما يُوحىَ إليَّ أنما إلهكُمْ إلهٌ واحدٌ .

فهل أنتمْ له مُسلمون . .؟

«وأنذر عشيرتَكَ الأقربين .

«واخفِض جناحَك لِمَنِ اتبَّعكَ من المؤمنين .

«فإن عصوكَ ، فقُلْ : إني بَريءٌ مما تعملون . .

فتحرَّك النبيُّ من بيتِ الوحيِ إلى بيتِ العشيرة ؛ وتبعتُ النبيَّ ، وأتبعُه إلى يوم الدين ؛ فرأيت عَجباً ، وازدادَ قلبي ثباتاً ، وأنا أصعَّدُ في مدارجِ الغيب ، فأطلُّ على حدائقِ اليقين . .

وفي حديقةٍ منها فرحتُ ، فأثقلتني مواسمُ الفرح ؛ فهويتُ عائداً إلى الأرض ؛ معي فصولٌ من أحسنِ القَصصِ ، لكنها ذكرياتٌ ما فات . .

ليتني لم أفارقْ . . ولم أنسَ . . ولم أتعلَّلْ بالذكرى . . فذكرى السرور ألمٌ ، وعيدُ الغديرِ ذكرى . .

- ٢ -

أيها الإخوةُ في الله ،

لماذا نحتفلُ بعيد الغدير ؟

وما هي الحكمةُ من موضوعه ؟

وهل من فائدةٍ تُرجى لحاضرنا إذا نحنُ عيَّدنا به ؟

موضوعُ الغدير قضيّةٌ يتجنّبُها القضاةُ والمحامون ؛ منذ أربعة عشر قرناً ، وهى دعوى تؤجّلُ .

وَمَن يدري لعلَّ في تأجيلها مصلحةً للمحامين والقضاة ، على السواء . . ولكنّه مِنَ المؤكّد أنَّ تأجيلَها ليس في مصلحةِ الأجيالِ المستقبليّة الشابة ؛

لي صديقٌ شابٌ ، يروي القضية من خلال قصته :

جاءَ صديقي ، يوماً ، وبعينيه ألمٌ ، وبوجهه قرار .

قال : هل تعرف أنني قررتُ .

قلت : قررتَ ماذا ؟

قال : قررتُ أن أتركَ بيتَ والديَّ ، وأرحلَ إلى أيِّ مكانٍ ، إلى جهنم ، إلى حيثُ

لا يُوجد سنة ولا شيعة . .

قلت ، مُتلطِّفاً ومُلطفاً : ولماذا يا أخي ؟

قال : أنت تعرف أن أمّي سنيّة ، وأنَّ أبي شيعيّ . . وأنَّ كلا منهما يروي لي أموراً ، عن الآخر ، تشيبُ الرأس ؛ حتى أقلقاني فأفقداني الثقة بكلِّ شيء ؛

أمي تقول : إن الخلافةَ ، بعد محمدٍ ، لأبي بكرٍ ، تاريخاً واستحقاقاً وحقيقة . .

وأبي يقول : إن الخلافة التاريخية لأبي بكر ، لا تعني شيئاً بالنسبة للحقيقة والاستحقاق ؛ فقد أوصى محمدٌ لعلي بالخلافة ، في غدير خُم ؛ يوم خطبة الوداع ، في حجة الوداع . .

قلتُ له : وأنتَ ماذا تقول ؟

قال : أنا ، في الحقيقة ، لا يهمني من الأمر شيء ؛ وأهتمُّ أكثر : بمن يُنقذُ فلسطين . . بمن يوحِّد العرب . . بمن يهدي الخنافس . . بمن يقودَ حركات الشباب في العالم . .

ومع ذلك ، أضطرُ أحياناً للتمثيلِ على أبويَّ ، فأمدُّ يدا لأمي ، وأمّد الأخرى لأبي ، وأتصورهما يشدان بي ، كلٌّ باتجاهه ، وبأقوى ما يستطيعان . . ومراراً قلتُ في سري ، وأنا أتخيَّلُ أنني أتمزَّق على هذه الصورة :

« . . عليكَ سلامُ الله يا سيدي المسيح . . لقد فهمتُ مأساتك ، حقيقةً ومجازاً ؛ لأنك ابنُ مريم ، ومريمُ من الأرضِ ؛ وابن الروح القدس ، وهو من السماء ؛ لذلك عِشتَ كما مُتَّ مصلوباً أو شبه مصلوب . .

أما أنا وكلُّ الراضعين من أمومة الثقافة العربية ، وأبوّة التاريخ الإسلاميِّ ، فكلَّ يوم تَصلبنا الحَيرةُ ، ويتجاذبُنا القلقُ إلى شرقٍ وغرب ، ونفزَع من الفِرَق الممزّقة إلى ما يُحرِّرنا من ضيقِها ، إن اللاّدين أحبُّ إلينا مما يُفرِّقون . . »

ثمَّ التفتَ إلي التفاتةً جارحةً ، وقال بحدّة :

بربِّك قل لي : ما معنى الفِرقة الناجية ، والفرق الهالكة . . ؟ وكيف يصحُّ في العقلِ أنَّ أية واحدةٍ مما يسمُّونه الفِرَق تنجو برُمّتها ، وجميع الفِرَق الأخرى تَهلك برمتها ، والواقعُ يُشير إلى ما يناقِضُ هذا . . ؟

قلت : ما دمتَ تُشيرُ إلى الواقع والتناقضِ ، فمعنى ذلك أنَّ كل شيءٍ يُحَلُّ بعقلك ؛ الفرقة الناجية . . والخلافة الغديرية . . والسلام المنزليّ . . وغير ذلك .

فلْنَعُدْ الى الاختلافِ على خلافةِ محمَّدٍ ، لأنها منزلَقُ التفرُّق ومفترقُ الفِرق .

قال : وهلْ يُرضي أبي وأمي ما ستقول ؟

قلت : أنا أتحدَّث إليكَ أنتَ ، وأنت شاب جامعيّ ، بلغتَ سِنَّ الرشد ؛ والمستقبَلُ لكَ ، ولأبنائكَ ، ولأحفادكَ . . والمهمُّ أن تقتنعَ أنت ، وأن تُصالح بين والديك ، وتُدخلَ إلى

عقليهما فهمَ التاريخ بصورة عصريةٍ جديدة ، كما أدخلتمُ المخترعاتِ العصريةَ إلى منزلكم ؛ بذلك تجعلهما يعتزانِ بك ، ويتطوران معك ، وإن لم يتطورا فسيتطور أبناؤك ، وهذا الأهم . .

خلافةُ محمّدٍ يا صديقي معروفةٌ في العقل المتيقظ ، والنقل الأمين ؛

محمّدٌ له تعاليمُ ، ومَن يُطبّقُ تعاليمَ محمّد ، ويقوى على حمايتها ، فهو خليفةُ محمّد . . وأنت نفسك تستطيعُ أن تكون خليفة محمد ، إذا قوّمتَ نفسك على تعاليمه تماماً . . وبذلك تكونُ الفرقة الناجية ، ولو تحدَّرت من أبوين يعبدان الأصنام ، كأكابر الصحابة . .

قال ضاحكاً : وكأنما أحبُّ الخلافةَ لنفسه ؛ لا أدري مَن سيفرحُ بعودتي إلى البيت أكثر . أمي أو أبي . ؟

ولكن قبل أن أعودَ ، أرجوك أن تَشرَحَ لي الحكايةِ تاريخيّاً ، من خلالِ عليٍّ (ع) لأفهم قصةَ الغديرِ حقّاً ، وأصالح بين والديَّ على ضوئها . .

قلتَ : يا شقيُّ ، إنك تدفعُني لأمشيَ بعينيَّ على أفُق من إبَر . .

المسافةُ طويلةٌ بيننا وبين الغدير ، وألغامُ الطريقِ تاريخٌ من الألغام ؛ وعينايَ هما عينايَ ، أحبهما أكثر من أي شيءٍ آخَر ؛ فهما تقرآن لي ، وتُصوران وجوهَ أحبابي ، وترتفعان بي إلى الأعلى ؛ بهما أتأمّلُ جلالَ وجهِ الله في جمالِ ما خلق . . وعينايَ عينايَ ، بهما أبكي للفقراء المظلومين ، وللمستحقين المحرومين ، بهما أبكي خشيةً من الله ربِّ العالمين . . ومع ذلك بهما أمشي إلى يومِ الغدير على أُفُقٍ من إبَر . . ورخيصتان هما ، إذا كان الله يحقّقُ بذلك سعادةَ والديك ، ويلهمُ وحدةَ الأمةِ بعد طول التفرّق ، واللقاء بعد طول التهاجُر ، والتسامُحَ بعد طول التحاقد . .

قصةُ الاسلامِ يا صديقي ، هي قصةُ المعرفة والمحبة ، في إطارِ توحيدٍ وإيمان ؛ علّم الله آدم الأسماء كلّها ، واستخلفه في الأرضِ . . وأعدَّ جميعَ الأنبياءِ من بعده إعداداً . . . .

وكذلكَ أعدَّ محمداً أربعين عاماً ، وألقى إليه الروحَ من أمره ، مُجدِّداً كُتبَ الأنبياء الأولين ، رحمةً للعالمين ، وبدءاً من عشيرته الأقربين . .

«فهل يَنظرون إلاّ سنة الأوّلين . .

«فلن تجدَ لسنّةِ الله تبديلاً . .

«ولن تجدَ لسنّةِ الله تحويلا . .»

وعليٌّ أبو تراب ، من أقربِ الأقربين في عشيرة النبي . . فهل يَصلُح للاعداد . . ؟ وهل يَستطيع حملَ أثقالِ الخلافةِ بعد محمدٍ . . ؟ وهل أعدَّه النبيُّ فعلاً . . ؟ وكيف نفتحُ باب التاريخ لندري . . ؟

التاريخُ ناسٌ ، وأحداث مزروعةٌ على مدار الزمان ؛ والزّمان تيّارٌ يمرُّ كالبروق ؛ ترقبتُ خطورَ البرقِ ، وانخطفتُ إليه ، فتعلقتُ بجناحه ، ثم مشيتُ على قدمِ الزمان ؛ واندفع زورقُ الفكر ، فتحوّل بي غوّاصةً في لُجَجِ التاريخ ، وتحوّل منطاداً في سماء العظمة الإنسانية ؛

كنتُ أبُثُّ لصاحبي بعضَ ما أرى من لقاء عليٍّ بمحمّد ؛ أسهلُ ما يُقالُ في تلك الحياة أنّها أقواسُ قُزح ؛

كلُّ منعطَفٍ من حياة عليٍّ قوسُ قُزَحٍ ، يجمع بين المطر والشمس ، ولا تسَلْ عن تعدُّد الألوانِ ، ونقاءِ الهواء ، وحريّة التنقُّلِ .. كلُّ شيءٍ في الجوِّ ماتِعٌ ، رائع ، يَجذبُكَ إليه ، ولا تستطيعُ الوصول ..

قوسٌ من حياةِ عليٍّ ، ينتصِبُ من محراب الكعبة إلى منزلِ النبيِّ ؛ يُسمُّون هذا القوس ؛ علي يُربّيه النبيُّ في منزلِ الوحي ؛

تأملتُ محرابَ الكعبة حيث وُلِدَ عليٌّ ..

وشهدتُ انتقالَ عليٍّ إلى بيتِ النبيِّ ، وهو طفلٌ في السّادسةِ من العُمْر ، ورأيتُ الطفل يتأمّلُ صلاةَ النبي ، ويُنصتُ إلى آياتِ الوحي ثمّ يطلُبُ تعلُّمَ الصلاة ..

سمعتُ النبيَّ يختبره ، فيقول : «إستشر أباكَ يا عليّ ..»

ولكن علياً يُجيبُ : «حينما خلقني الله ، لم يُشاورْ أبي ، وأنا إذا أعبدُه ، لا أشاور أبي ..»

وسمعتُ النبيَّ ثانيةً ، وقد جَمَعَ أشرافَ قريشٍ ، يقول :

«يا معشرَ قريشٍ .. قد أمرني ربي أن أدعوكم إليه .. فأيُّكم يؤازرني ، على هذا الأمر ، ويكون وزيري ، ووصيي ، وخليفتي من بعدي ..؟»

ورأيتُهم يُعرضونَ عن النبيّ ، وأشفقتُ على وجهه المنير ، سلامُ الله على وجهه المنير ؛ ولكنَّ الفتى علياً ، نهضَ حتى ظهرت قامتُه الصغيرة بين القوم ولبّى نداءَ رسولِ الله قائلاً : «.. أنا ، يا رسول الله ..»

وقوسٌ آخرُ ، من حياةِ عليٍّ ، ينتصبُ من بيتِ محمد في مكةٍ ، إلى بيتِ محمّدٍ في المدينة ؛ يُسمّون هذا القوس : «قوسَ الفِداء والوفاء ..»

رأيت علياً ، يَبيتُ على فراش محمّدٍ ، ليهاجرَ محمدٌ ؛ عفواً ، يَستقبل على الموتَ ليَحيا الإسلامُ بمحمّد ..

ورأيتُ على مساحبِ القوسِ توهجاتٍ ، يومَ أُحُدٍ ؛ ويومَ الخندق ، ويومَ خيبر ؛ ثلاثةُ أيّامٍ تسطَعُ بالفضلِ شموساً ؛

حَمى عليٌّ نبي التوحيد ، في أُحُدٍ ؛ عندما فرَّ عنه الناس ؛ وبرز الإيمانُ كلُّه للشركِ كلِّه ،

عندما خَنَسَ جميعُ الرجال أمام تحدّي عمرو بن ودٍ ؛ يوم الخندق ؛
وفتحَ الله خيبرَ بالفتى ، عندما عجزَ عن فتحِ الحُصن شيخان من أجلِّ الشيوخ ؛
وفَتَحَ الله بعليٍّ غيرَ خيبر ؛
فتحَ بابينِ للتوحيدِ الأرضيّ ، يتفرّعان من توحيد الله الأحد :
فَتَحَ للعربِ بابِ الوحدةِ بانتصار دين القرآن ؛
« . . وإنَّ هذه أمتكم أُمَةً واحدةً ، وانا ربُّكم فاعبدون . . »
وفتحَ للانسانية بابَ الوحدة بانتصار رسول الاسلام ؛
«إنَّ الله اصطفى آدمَ ، ونُوحاً ، وآل ابراهيمَ ، وآلَ عمران ، على العالمين . .
«ذريّةً بعضُها من بعضٍ ، والله سميع عليم . .
«ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانيّاً ، ولكن كانَ حنيفاً مُسلِماً ؛ وما كان من المشركين . .
إنَّ أَوْلى الناسِ بإبراهيمَ للذين اتبعوه ؛ وهذا النبيُّ ، والذين آمنوا ، والله وليُّ المؤمنين . . »
ومكّن الله لدينهِ في الأرضِ بانتصار خيرِ آل محمّدٍ ، يقولُ النبيُّ يومَ برز عليٌّ لعمرو بنِ وُدٍّ :
«اللهمَّ إن تنصُرْ عليّاً ، فإنَّ في ذلكَ نصرَ المسلمين والدين . وإن تخذله فلا يُمَكِّنْ لدينكَ في الأرض . .
«اللهم إنّك تعلَمُ أنّه خيرُ أهلي وأرومتي ، فارددهُ عليَّ سالماً ، ولا تفجعني به يا ربّ العالمين . . »
ورده الله سالماً إلى محمّد ، ليسلّم به من اصطفى الله ، من آدمَ ، وآل ابراهيم . . .
وليُشهدَه تمامَ النعمةِ ، واكتمال الدين ، عام الوَداع ؛ ويعلنَه وليُّ الله ، عهد الغدير .
«مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه . . » كما يقول النبيُّ . .
أحببتُ خاتمةَ الألوانِ في هذا القوس ، لونَ الوفاءِ ، أحبَّ فتوحاتِ عليٍّ ؛ فقد كان وفيّاً لوحدةِ الاسلام والمسلمين ؛ وفيّاً للانسانيّةِ والعدلِ والحقِّ ؛
رأيتُه عند جثمان رسولِ الله الطاهر ؛ عندما تركه الناسُ ، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يحمون شؤون الامارة ، ويحرصون على تقاسُمِها . .
رأيت عليّاً ، يحمي جثمانَ النبيّ ، متمرِّداً على جاذبيّة الإمارة ، أن تقتلعَه من قربِ نبيِّه وحبيبه ، وأخيه ومربيه .
بل سمعتُه يرثي رسول الله رثاءَ الوفاء ، فيقول :
بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله . .

«لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموتِ غيرك . .

«بأبي أنتَ وأمّي . .

«أذكرنا أنتَ عند ربِّك ، واجعلنا من بالك . .»

وينتهي القوسُ الثاني ، وديعةً عند ربِّ محمّدٍ ؛ وذكرى مِن بالِ النبيّ .

وتنبثقُ من نهايته أقواسٌ كثيرةٌ مثيرة ؛

ينتصبُ أحدُها من منزلِ النبيّ إلى سقيفة بني ساعدة ، يُسمُّون هذا القوس : «قوس السّماء والغبراء . .»

أثارني هذا القوسُ بجناحيه : جناحِ الوفاءِ لنبيِّ السماء . . وجناحِ القلَقِ على شؤون الغبراء ؛

بايَعَ عُمَرُ والناسُ أبا بكر بالخلافة ؛

واعتكفَ عليّ في بيته مع القرآن ، كأنما هو كلُّ شيء في نظره ؛ هو خلافةُ الأرضِ وخلافةُ السّماء . .

قال علي : سمعتُ رسولَ الله يقول :

«إنّها ستكونُ فتنة . .»

قلتُ : فما المخرجُ منها يا رسولَ الله . .؟

قال : كتابُ الله ، فيه نبأُ ما قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحكمُ ما بينكم ، هو الفصلُ ليس بالهزل ، مَن تركه من جبَّارٍ قصمَه الله ؛ ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكرُ الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ؛ هو الذي لا تزيغُ فيه الأهواء ، ولا تشبَعُ منه العلماء ، ولا تَلتبس به الألسن ، ولا يَخلَقُ مع كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبُه ؛ هو الذي لم تنته الجنُّ لما سمعته ، أن قالوا : إنّا سمعنا قرآناً عَجَباً ، يَهدي إلى الرشد . ومَن قالَ به صدقَ ، ومَن حَكَمَ به عدلَ ، ومَن عملَ به أُجر ، ومَن هَدى به هُدي إلى صراط مستقيم . .»

فخشيتُ أن تكونَ هيَ الفتنة ، وجزعتُ على أمتي من الفُرقة ، وتتبعتُ خطى عليٍّ ، وحسبتُ للمستقبل ألفَ حساب :

أيكونُ له اقتحامٌ ، كما عرفناه في مواقفه . .؟

وقد أثاره كثيرون ، لينهضَ في وجهِ أبي بكر ، وعمر ، ويأخذَ منهما حقَّه ؛

حرَضه عمُّه العباسُ ؛

وقال له أبو سفيانٍ مرّة : «إن شئتَ لأملأنها عليهم خيلاً ورَجلاً ، ولأسدَّنها عليهم من أقطارها . .»

فأجابه علي «يا أبا حنظلة . . إنك تدعونا لأمرٍ ليسَ من أخلاقنا ، ولا مِن شِيَمِنا . . ولقد سددتُ دونها باباً ، وطويتُ عنها كشحاً . .»

ثمَّ رُويَ أنَّه بايعَ بعد ذلك أبا بكر ، وصارحَه بحقِّه ، مكتفياً بالقول :

«إنَّه لم يمنعْنا من أن نبايعَك إنكارٌ لفضلك ، ولا نفاسةٌ عليك لخيرٍ ساقَه الله إليك . . ولكنَّا كُنَّا نرى أنَّ لنا في هذا الأمر حقّاً أخذتموه . .»

فهمتُ أنَّ الخلافة حقٌّ لهُ ، لأنَّه مُعدٌّ لها ، ولكنَّه سَدَّ دونها باباً وطوى عنها كشحاً ؛ ثُمَّ فتح لها أبواباً في كتاب الله ، حيث كان يقول :

« . . سلوني وسلوني عن كتاب الله ما شئتم ؛ فوالله ما من آيةٍ من آياته إلّا وأنا أعلَمُ ، أنزلتْ في ليلٍ ، أم في نهار . .»

وسألهُ أصحابُه ، فلم يُغلِقْ دونَهم بابه ، بل أخذَ بيدهم إلى صراط القرآنِ السويِّ ؛

وطالما رأيتُ أبا بكرٍ ، يلجأ إليه ، ويقول : «أفتنا يا أبا الحسن . .»

وطالما رأيتُ عمرَ لاجئاً إليه ، وسمعته يقول :

« . . لا كنت لمعضلةٍ ليس فيها أبو الحسن .

«والله لولا عليّ لهلَك عمرَ . .»

فتحرَّك صديقي من مجلسه ، وصاحَ بي مِن وراء دموعه ؛ ولكن . . ولكن . . ولكن . . فعدتُ مِن سرحةِ الخيالِ ، في مَعارج التاريخ ومطاوي الحِقَب . . وقلتُ : ولكن ماذا . ؟

قال : ولكن لماذا يختلِفُ أبي وأمّي . . وعليٌّ اتَّفَقَ مع أصحابه ؛ وكانَ مرجعاً لهم ، وقاضياً ، ومُنقِذاً ؛ فأنا افهمُ من قول عمر : «والله لولا عليٌّ لهلك عمر . .» افهم من هذا كثيراً ، ولأوّلِ مرّةٍ يتحرَّكُ عقلي بذوقٍ حرٍّ ، في الموضوع ؛ جزاكَ الله خيراً . .

قلتُ : ماذا فهمتَ من قولِ عمر . .؟

قال : «هلَك ، تعني فنيَ . وعمر معدولةٌ عن عامر . والعامر هو الباني ؛ والذي قصده عمر ، بعدما شاهدَ من عليٍّ أيام النبيِّ وبعده ، هو فِداءُ عليٍّ للإسلام ؛ فلولاه لرُدِم نبعُ الإسلام ؛ يوم الهجرة ، ويوم أحد ، ويوم خيبر ، ويوم الخندق ؛ كما رُدِمَ نبعُ زمزم ، بعد اسماعيل وابراهيم . . ولكنَّ الله أرادَ لجدِّ عليٍّ أن يُفجِّر ماءَ الحياةِ الموحِّد للشاربين ، من عمقِ الثرى . وأراد لعليٍّ أن يدافعَ عن التوحيد ، ويرفَع لواءَه إلى قمّة الثريّا ؛

لذلك كانَ اسمُه «عليّاً» ؛ فعَلا عن الحدود والقيود ، وارتفع بأصحابه عمَّا يهلكهم . .

ولذلك كانت كنيتُه «أبا تراب» ؛ فاحتضنهم على عِلّاتِهم ، ونزلَ عن حقِّه لهم كلما دعاه إلى ذلك التوحيد . .

عرفَ عليٌّ الضعفَ البشري في الناس ، من نفسه ، فحاول علاجه : رحمةً بين المؤمنين ، وشدّةً على الكافرين .

كأني بقرارة نفسِ عليٍّ ، وهو يُفكّر بالخلافة ، فيقول :

لقد اختصني الله برحمة منه ، وهيّأ لي تربيةً لم يُهيئها لغيري ، وحباني بمواهبَ فُقت بها الآخرين ، عِلماً وعَملاً . .

أفليسَ كلُّ ذلكَ ممّا يُثيرُ شيئاً في نفوس رفاقي ؛ وهم شيوخٌ كبارٌ ، وأنا فتىً شابّ . .؟

عفا الله عنهم ، ونفعَ بهم ؛ فإني أعذُرهم إذا نازعوني الأمرَ . . فليسوا بأفضلَ من الملائكة ؛ وقد احتجّتِ الملائكة يومَ جعلَ الله آدمَ خليفةً في الأرض . .

اللهم اغفرْ لقومي ، فإننا بشرٌ .

اللهمّ سخّرهم لرفعِ كلمتكَ ، وتوحيد المؤمنين ، يا أرحم الراحمين . .»

قلتُ لصديقي : وأنتَ فتح الله عليك ، ونفعَ بكَ ؛ عُد إلى والديكَ ، واعذرهما ، ووحّدْ بينهما . وقلْ لهما : إنّ ما كانَ من أوزار التاريخ والأجداد ، ينبغي أن لا نتحمّلهُ نحن الأبناء والأحفاد . .

وفسّرْ لأبيكَ ، بطريقة الشباب المجدّدة ، مغزى الصلوات الإبراهيمية ، التي يُصلّيها السنة إلزاماً بعد التشهّد ، بينما يُعقّب بها الشيعةُ استحساناً . .

فسّرْ له : «اللهمّ صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ ، كما صليت على ابراهيمَ وآل ابراهيم . .» بطريقتك السّابقة ؛ نكشفْ له البَيعة المستمرّة لآل محمدٌ ، كما هي مستمرة لآل ابراهيم . .

بَصّرْ أباكَ الشيعيّ بالإشارة ، وقُلْ له أن لا يحرمَ ، من بركات عليٍّ ، أمّك السنيّة . .

فعليّ إمامُ الجميع ؛

أميرُ المؤمنين ؛ وناصرُ المستحقّين المحرومين ؛ شيخُ الدروايش الزاهدين ، وقائد الشجعان المجاهدين ؛ وموظّف الخطباء والباحثين ؛

أليس لهذا نعقد المجالس ، ونُعطيه الثقةَ من جديد ، كلّ عيد غدير . .؟ فهل تذهبُ معي إلى جلسةِ الثقة . .؟

- ٣ -

أيها الإخوةُ في الله

لم يرضَ صديقي أن يجيءَ معي إلى جلسة الثقة اليوم ، لأنه حملَ الثقة بدين التوحيد الحقِّ إلى والديه . .

وجئتُ أحملُ إليكم بعض ما دار بيننا ؛

فالخليفة لمحمدٌ مَن يُطبّقُ تعاليمَ محمّد .

والفرقة الناجيةُ تتألّفُ ممن يدعونَ إلى الله بإخلاصٍ وصدقٍ ، من كلّ الفرق . . بل مِن كلّ الملل والأمم ، كما يُفيد قول الله تعالى :

«ومِمّنْ خلقنا أمّةٌ يهدون بالحقّ ، وبه يَعدِلون . .»

ومناسبةُ الغديرِ تُلهِمُ أكثرَ من درسٍ عصريٍّ في القيادة :

النبيُّ يُربيّ قائداً لينقذ عمرَ وغيره من الهلاك ؛

النبيُّ مدينةُ علمٍ ، لا بُدَّ لها من بابٍ ومفتاح ، وقد هيّأ بعليٍّ ذلك . . وقال : «العلماء ورثةُ الأنبياء . .» ليحضّنا على المعرفة ، ويوجهنا إلى مداخلها الصحيحة . . فالباب الباب . .

أيها الإخوة الأحباب . .

مَن منكم يُبايع علياً بالخلافة . . . ؟

علَى شرطِ أن ينفّذَ تعاليم محمد التي نفذّها عليٌّ :

عليٌّ فدى النبي في الهجرة ، وحماه في أُحُد . .

عليٌّ هزَمَ الشّركَ كله يوم الخندق . .

عليٌّ أزال خطرَ اليهود يوم خيبر . .

عليٌّ شارك الجائعين وفكرَّ بالمحرومين . .

عليٌّ نهى أصحابه عن مسبّةِ خصومه ، ودعا لخصومه بالهداية ليعرفوا الحقّ . .

عليٌّ عدل وصدقَ في أقواله وأفعاله . .

فهل تبايعون علياً ، على هذه المبادىء ، والأخلاق التوحيدية ، التي تجمَع ولا تُفرّق . . ؟

إنّ علياً أيها الإخوةُ ذو أسرارٍ عميقة ، لا يعرفُ صاحبُه متى يَنزلقُ عن سواء السبيل معه ؛

قال لقاتل الزبير بعد معركة الجمل : «أبشر بالنار ياقاتلَ ابن صفيّة . .»

فاستغرب الرجل وقال : عجيب ، والله ، أمركم . . آل البيت . . نقتلُ أعداءكم ، وتبشروننا بالنار ؟

وقال لقاتله ابن ملجم : «أهو أنت . .؟ لطالما أحسنت إليك . .»

أرجو أن لا تقعَ بين فكّي هذا السرّ الرهيب العجيب ؛

لا يرضى عليٌّ عن قاتل عدوّه ، ويحسن إلى قاتله ، ويوصي به خيراً . .

فلنكُنْ على خُطاه ، في ما نحب وما نكره ؛ لكي لا نكون علويين أكثر منه . . فنهلك . .

ومرّةً أخرى : هل تجددون البيعة لعليّ ؟ هل تمنحونه الثقة هذي العشية . ؟

- ٤ -

عفوكَ يا إمامي ؛

فما جئتُ أمنحك الثقةَ لتكون بثقتي خليفةً ، بل جئتُ أستمدُّ منكَ الثقة لأكون مسلماً محسناً ، على طريق الحق ؛ أنت ثقةٌ تُشرقُ على الكون ، فتتفتحُ في جسوم المرضى شفاء ؛ وفي قلوب اليائسين أملاً ، وفي حياة المحبين لقاءً ؛ وفي عقول المفكرين دوَلاً وبناءً .

مرَّةً ، تفتحتَ في قلبِ فليسوفٍ أمريكيٍّ ثقةً بالنفس واعتماداً عليها ، فبنى على قولكَ بيانه الإستقلاليَّ ؛

واستقلت أمريكا عن بريطانيا بفعل تنفيذٍ لكلماتٍ منكَ ، فكنت أباً روحياً لإستقلالها وحريتها ، وأبرؤك من مسؤولية المخالفة لمبدأين استمدهما منك فيلسوفها إمرسون . .

ومرةً ، تفتحتَ وضوحاً في قلبِ كاتبٍ ، يبحث روحَ العصر ، في روسيا ، فقرَّر ، مع قدامى المفكّرين ، أنَّك قدوة المستحقّين المحرومين ، وإمام الثائرين على الظلم والمستغلين . .

لذلك يا أميري الكبير ، نحتفلُ بعيد الغدير . .

ليستمدَّ منكَ الشبابُ ثقةً توحِّدُ أمتنا ، وتزرع السلام في بيوتنا ، وتفتح الآمال في قلوبنا . . لنبنيَ بعزم الفتوة أوطاننا ، فنفتح خيرَ الجديدة . .

فعيدُ الغدير تمجيدٌ لفتوّة الشباب ، من خلال تمجيدك ؛ وتقديرٌ لكفاءة المستطيع من خلال تقدير كفاءتك . .

فاعذرنا يا أبا الحسن ، إذا أسأنا إلى تواضعك . . فلاحتفالنا بعيد الغدير رمزان :

رمزُ احترامنا للنبيِّ ، الذي يرى للأمةِ قائداً ، ولخلفاء الأمة مرجعاً ، يفزعون إليه في المشكلات ، فلا يهلكون . .

ورمزٌ إلى تطلعات الشباب ، الطامحين إلى ثقةٍ بالنفس ؛ وكفاءةٍ تستطيع هدم الظلم وبناء العدل ، وقدرةٍ تفرض على الشيوخِ احترامها واللجوء إليها ؛ وإخلاصٍ لمبدأ الوحدة بكل معانيه :

وحدة الإله . .

ووحدة العرب . .

ووحدة الإنسانية . .

إمـامـي أنـت آمـالٌ نـديَّـهْ ... إذا جـفّـت مـن المـاء الـبـريَّـهْ

ونُـورٌ يَمْـلأ الآفـاقَ حُـبّـاً ... إذا ظـنـوا الـكـرائـهَ سرمـديـهْ

ولـلـعَـرب اقـتـحـامٌ كـالأمـاني ... يـدكُّ بـخـيـبر الـروح الـبغيَّـهْ . .

رأيـتـك فـاتحـاً . . وأراك فـتـحـاً ... يـقـود الـنصرَ والمـثُـلَ الـعَـلـيَّـهْ